241879 ـ هل يمكن أن يكون مرتكب الكبائر ، والمصر على الذنب ، محبا لله ورسوله ؟

السؤال

أعلم أن حب الله تعالى دعوى يكاد يدعيها كل الناس ، تقيّهم وفاجرهم ، وكل دعوى لا بد لها من بينة لتمييز صادقها من كاذبها. اتباع أوامر الرب تبارك وتعالى ، واجتناب نواهيه ، واتباع النبي صلى الله عليه وسلم هي أعظم دليل على صدق دعوى المحبة ، ولي ذنب قصم ظهري وأفسد عيشي : فتنة النظر إلى النساء ، أحاول أحيانا مقاومته وأستمر على ذلك فترة من الزمن ، لكن غالب حياتي عشتها مستسلما لنفسي وهواها ، ولا أرى أن لي حسنة ذات بال ألقى بها ربي سوى ما أحسه في قلبي من حب لله ورسوله ، وأن تكون كلمته هي العليا في الأرض ، قبل فترة من الزمن ، رأيت رؤيا أكتبها لكم هنا: رأيت أني واقف في طريق أتتبع النساء ببصري بشهوة ، وفجأة ذكرت في نفسي أن هذا الفعل محرم ، فقررت أن أغض بصري إلى الأرض ، وما إن غضضت بصري حتى رأيت في الأرض عينا كبيرة تنظر إلي نظرة غضب وتهديد، نظرة قاسية جدا ، وأُلقي في نفسي (في الرؤيا) أن هذا الشيطان يريد تخويفي ، ولم أخف منه ، وعزمت على قهره في تحدي ، فقررت أن أرفع رجلي اليمنى وأضعها فوق العين التي على الأرض لأقهره ، وكذلك صنعت ، فبدأت برفع رجلي اليمنى وكانت ثقيلة جدا، أكابد وأجاهد لرفعها، حتى تمكنت من ذلك بعد جهد ووضعتها فوق العين ، وقلت له بعزة : لقد قهرتك. انتهت الرؤيا.

فهل ما رأيته رؤيا حق؟ أم حديث نفس؟ وهل هي على ظاهرها إن كانت رؤيا؟ وهل يمكن أن يكون صاحب الذنوب العظام محبا لله ورسوله ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولا :

لا شك أن النظر إلى النساء فتنة عظيمة ، وبلية كبيرة ، ومن تعلقت نفسه بالنساء ، وبصره بالنظر إليهن ، وقلبه بمحبتهن : فهو ممن يتبع هواه، ولا يتقي الله ، (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ) القصص/50

فاتق الله ، وجاهد نفسك وهواك ، وما لا ترضاه لنفسك لا ترضاه لغيرك ، واحذر أن تُبتلى في نساء أهل بيتك بما ابتُلي الناس به في نسائهم بك .

وجدد التوبة ، وأحسن الأوبة ، وحافظ على الصلوات المكتوبات ، واشغل نفسك بالحق تنشغل عن الباطل ، وأكثر من ذكر

الله ومن تلاوة القرآن ، وليكن لك حظ من قيام الليل ، وتضرع فيه إلى ربك ، وألح عليه في الدعاء ، كي يصرف عنك هذا البلاء ، فإنه من أعظم البلاء وأشده على قلبه المرء ودينه .

ولا تيأس من رحمة الله ، وأحسن الظن به ، وأحسن العمل ، واستعن على إعفاف نفسك ، وغض بصرك : بزوجتك الحلال ، والإكثار من الصوم ، مهما استطعت .

وانظر السؤال رقم : (3234) ، والسؤال رقم : (111796) .

ثانيا :

لا شك أن بغضك للسيئة وبغضك لفعلها من الإيمان ، كما روى الإمام أحمد في "مسنده" (22159) عن أَبي أُمَامَةَ عن النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (إِذَا سَاءَتْكَ سَيِّئَتُكَ ، وَسَرَّتْكَ حَسَنَتُكَ فَأَنْتَ مُؤْمِنٌ) وصححه الألباني في "الصحيحة" (550) .

ولكن من ساءته سيئته فتمادى فيها وأصر عليها ، غلبت عليه خسارته ؛ لأن المقصود أن المؤمن تسوؤه السيئة ، فيتركها، وتسره الحسنة ، فيقبل عليها ، فيزداد إيمانا.

أما أن تسوءه السيئة ثم يقبل عليها : فهذا لا شك من الخسران .

فاستثمر بغضك للسيئة ، ومجاهدة نفسك فيها ، وما رأيت في منامك ؛ لتحسن التوبة ، وتقبل على الله ، وتتقيه حق تقاته .

ونحن نرجو أن تكون الرؤيا التي رأيت من الله تعالى ، فإنها رؤيا خير ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : (الرؤيا الصالحة من الله) رواه البخاري (3292) ، ومسلم (2261) .

وما يراه المرء في منامه من نحو ذلك غالبا ما يكون من باب الإشارة والتنبيه والدلالة على الشيء ؛ فلعل فيها إشارة لك إلى أن هذه المعصية هي من اتباعك خطوات الشيطان وتزيينه لك ، والتغلب عليه أمر يسير ، ولكنه – فقط – يحتاج منك إلى إصرار وعزيمة صادقة ، وسوف يعينك الله عليه .

وسواء كانت الرؤيا تدل على ذلك أم لا ؟

فهذا المعنى حق ، قد دل عليه القرآن الكريم والأحاديث النبوية .

فالذي ننصحك به هو مجاهدة النفس والشيطان والتوبة إلى الله تعالى باستمرار ، فكلما أحدثت ذنبا ، فأحدث له توبة وندما ، وعزما على عدم العودة إليه مرة أخرى ، فإن غلبك شيطانك ، وضعفت نفسك ، ورجعت إلى الذنب مرة أخرى ، فتب إلى الله تعالى توبة أخرى ... وهكذا .

ثالثا :

وأما كون صاحب المعاصي الكبار يكون محبا لله ورسوله .

فالجواب : نعم ، فكل مؤمن لابد أن يحب الله ورسوله ، وإذا خلا القلب من محبة الله ورسوله ، فهذا ليس بمؤمن .

وقد روى البخاري (6780) عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ : " أَنَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللَّهِ ، وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا ، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ ، فَأُتِيَ بِهِ

يَوْمًا فَأُمِرَ بِهِ فَجُلِدَ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ : اللَّهُمَّ الْعَنْهُ ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ : فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لَا تَلْعَنُوهُ ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

"وَكُلُّ مُؤْمِنٍ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَمَنْ لَمْ يُحِبَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ ، وَإِنْ كَانُوا مُتَفَاضِلِينَ فِي الْإِيمَانِ وَمَا يَدْخُلُ فِيهِ مِنْ حُبٍّ وَغَيْرِهِ " انتهى من " مجموع الفتاوى " (35/66) .

وقال أيضا في "منهاج السنة النبوية" (4/570) :

"ومن المعلوم أن كل مؤمن فلا بد أن يحب الله ورسوله " انتهى .

ولكن هذا الإيمان إيمان ناقص بما أتى به من المعاصي ، وهذه المحبة ـ من ثَمَّ ـ محبة ناقصة ، ولو كمل إيمانه ومحبته لله ، لكان مطيعا لربه ، ونهى نفسه عن هواها .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في "جامع الرسائل" (2/259) :

"فَكَمَا أَن الْمحبَّة الْوَاجِبَة تَسْتَلْزِم لفعل الْوَاجِبَات ، فكَمَال الْمحبَّة المستحبة تَسْتَلْزِم لكَمَال فعل المستحبات ، والمعاصي تنقص الْمحبَّة ، وَهَذَا معنى قَول الشبلى لما سُئِلَ عَن الْمحبَّة فَقَالَ : مَا غنت بِهِ جَارِيَة فلَان :

تَعْصِي الْإِلَه وَأَنت تزْعم حبه ... هَذَا محَال فِي الْقيَاس شنيع

لَو كَانَ حبك صَادِقا لأطعته ... إِن الْمُحب لمن أحب مُطِيع

وَهَذَا كَقَوْلِه صلى الله عَلَيْهِ وَسلم : (لَا يَزْنِي الزَّانِي حِين يَزْنِي وَهُوَ مُؤمن ، وَلَا يسرق السَّارِق حَيْثُ يسرق وَهُوَ مُؤمن ، وَلَا يشرب الْخمر حِين يشْربهَا وَهُوَ مُؤمن)" انتهى .

ويخشى على العاصي المتمادي في معصيته ، أن يزداد حبه للمعصية يوما بعد يوم ، ويقل حبه لله يوما بعد يوم ، حتى يتلاشى من قلبه ، ويكون ذلك عقابا له على استمراره على المعصية .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في "فتح الباري" (12/78) تعليقا على الحديث المتقدم :

"فِي هَذَا الْحَدِيث مِنْ الْفَوَائِد : ...

أَنْ لَا تَنَافِيَ بَيْن اِرْتِكَاب النَّهْي ، وَثُبُوت مَحَبَّة اللَّه وَرَسُوله فِي قَلْب الْمُرْتَكِب ، لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَ بِأَنَّ الْمَذْكُورَ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُوله ، مَعَ وُجُود مَا صَدَرَ مِنْهُ . وَأَنَّ مَنْ تَكَرَّرَتْ مِنْهُ الْمَعْصِيَةُ ، لَا تُنْزَعُ مِنْهُ مَحَبَّةُ اللَّهِ وَرَسُوله ....

وَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون اِسْتِمْرَار ثُبُوت مَحَبَّة اللَّه وَرَسُوله فِي قَلْب الْعَاصِي مُقَيَّدًا بِمَا إِذَا نَدِمَ عَلَى وُقُوع الْمَعْصِيَة ، وَأُقِيمَ عَلَيْهِ الْحَدّ ، فَكَفَّرَ عَنْهُ الذَّنْبَ الْمَذْكُورَ ، بِخِلَافِ مَنْ لَمْ يَقَع مِنْهُ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يُخْشَى عَلَيْهِ بِتَكْرَارِ الذَّنْبِ ، أَنْ يُطْبَع عَلَى قَلْبِهِ شَيْءٌ ، حَتَّى يُسْلَبَ مِنْهُ ذَلِكَ ، نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ" انتهى .

نسأل الله تعالى أن يوفقك للتوبة النصوح .

وانظر للفائدة السؤال رقم : (142392).

والله أعلم .